أزمة الفكر[1] و الإبداع[2] بالتعليم العالي

توطئة 2
1. كُنه الإشكال: 3
2. محاولات معالجة الإشكال بالتي كانت هي الداء: 4
3. تداعيات الإشكال : 5
4. الأصل المستبعد و الذي يعمل بعكس تعاليمه حتى المتخصصون في علومه 5
5. المفارقة بين السلف و الخلف: 6
6. أصل الفكر المبدع عند غير المسلمين: 6
7. أمثلة على ما يتلذذ الخلف بحصر العقل في لَوْكه 6
8. توارث أزمة الفكر المسلم عن طريق نمط التعليم و أنماط امتحاناته و بحوثه 7
9. الأزمة اليوم ليست أزمة حفظ معلومات و لكنها أزمة عقول تحسن استثمارها: 8
10. هديه صلى الله عليه و سلم في التربية على استثمار نعمة العقل 8
11. ثمرات هديه ﷺ في أنماط التفكير السليم 10
12. الحلول العملية للخروج من أزمة الفكر بالتعليم العالي 12
   - أ) تحديد نموذج الإنسان المنشود بناؤه 12
   - ب) أثر نمط الامتحانات في تحديد نوعية بناء الإنسان المنشود 13
   - ت) نمط إلقاء الدروس: 14
   - ث) نمط إعداد العروض و البحوث: 14
   - ج) نوعية البحث العلمي الاجتماعي 15
   - ح) أهمية فقه الواقع في الدراسات الإسلامية 17
   - خ) أثر البحث في فقه الواقع على نوعية تكوين الطلبة 18
13. الخاتمة 18

[1] من "المحيط" **الفِكْرُ** هو **إعمالُ العقلِ** في الأشياءِ للوصول إلى معرفتها.\ لي في الأمرِ فِكْرٌ أي نَظَرٌ \ رجال الفكر، هم المفكرون
التَّفْكِيرُ : إمعان النظر في الأمور و **إعمال العقل** و **الفكر فيها**.

[2] من "المحيط" **الإِبْداعٌ** هو الابتكار؛ أي إبداع شيء غير نمطيّ ولا مكرر\ إيجاد الشيء من عدم.

توطئة

أولا الأزمة موضوع هذه الورقة لا يخلو منها مسلك من مسالك التعليم العالي بسائر أنواع كليات العلوم ببلادنا و بباقي الكليات. و لكنها بلا شك متفاوتة الحدة ليس فقط من مسلك لآخر بل حتى من أستاذ لآخر بنفس المسلك. فالأساتذة ليسوا سواء، **فمنهم من يعي الإشكال حق الوعي** و يتحرى التصدي له بجهوده الخاصة و هذا هو المطلوب من الجميع، و منهم من يعيه و لكن **تجده من الذين دأبوا على انتظار الحلول من السلطات الوصية**، فينتظر التعليمات التي لن تأتي أبدا، و **منهم من لا يعيها تماما** فيساهم فيها من حيث يحسَب أنه يُحسن صنعا. و بالرغم من كل تداعيات هذه الأزمة التي تعاني منها جل الجامعات بالعالم الثالث، فلا زال التعليم العالي ببلادنا يمدّ البلاد بطاقات بشرية مبدعة و خلاقة لدرجة أن الدول المتقدمة ظلت و لا زالت تستفيد من مؤهلاتها بواسطة ما بات يعرف بـ **"هجرة الأدمغة"**. و المطلوب هو رفع مردودية تعليمنا العالي إلى أقصى درجة يمكن الوصول إليها من حيث تكوين نخب مفكرة و مبدعة، و الأمر بيد الأساتذة لا غير.

و قد يتساءل بعض الأساتذة عمّن يكون هذا الذي يتجرأ فيوجه هذه الرسالة لكافة الأساتذة و يقول لهم بأن الحل بأيديهم لا غير. و هذا هو المتوقع **من بعض** الأساتذة و لا سيما بمسلك الدراسات الإسلامية و الذين يظنون أنهم بلغوا مبلغا من العلم لا يحق معه لأحد توجيه النصح لهم. و أذكّرهم و أذكر نفسي و أقول من خلالهم لسائر باقي الأساتذة بكل تعليمنا العالي، أن المسلم الذي يرى في أمر مّا ضررا للأمة و لا يتجرأ على البوْح به لمن يهمّه الأمر، يكون على غير هديه ﷺ. و إن تكبّر و استعلي من يهمّه الأمر، فلم يسمع من مثل هذا المسلم، يكون ممّن لا يفقهون في سيرته ﷺ شيئا. و تكون الطامّة أكبر إن كان من يهمّه الأمر ممّن يدرّس السيرة النبوية و فقهَها أو متخصّصا في علم من علوم الدين. هذا لأن المقصود بهذه الورقة هو تحديث و تطوير أساليب التدريس و التكوين بكل التعليم العالي بصفة عامة و بشعبة الدراسات الإسلامية بصفة خاصة.

فهو من هو ﷺ، سيد الخلق و خير ولد آدم، و في عز المحنة بغزوة بدر، أول حرب بين المسلمين و الكفار، رآه الحباب بن المنذر رضي الله عنه، ذلك الجندي البسيط، رأى النبي ﷺ قد نزل في منزل لمقارعة الكفار، فنظر في ذلك المنزل ثم **فـــكـــر** أي استفرغ جهده الفكري **باستعمال خياله** و باستثمار نعمة العقل التي وهبها الله إياه، فتصوّر به المعركة، و قدّر أنّ الحرب مجرد مكر و خديعة، فتوقّع أن الهزيمة في هذا المنزل الذي نزل به ﷺ قد تكون لا قدر الله، من نصيب المسلمين.

و بيقين الحباب رضي الله عنه أن **تحقير الناس** ليس من شيّم الرسول ﷺ، و أن **الاستخفاف بعقولهم** ليس من سجيّته ﷺ و أنه ليس في شيء من تربيته لأصحابه، و بيقينه أنه ﷺ **يحسن الاستماع إلى أدنى القوم مركزا** تماما كما يحسنه مع الملأ من بينهم، تجرأ الحباب رضي الله عنه بتعقُّلِ و حِكمةِ المتخرّج من المدرسة النبوية الشريفة، و بِذَهاء المُفرّق بين مواطن الاجتهاد بالرأي و مواطن التوقّف عنه، سأل الرسول ﷺ قائلا: " يا رسول الله ؟ أرأيتَ هذا المنزل؟ أمنزلاً أنزلَكه الله **ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه؟** أم هو الرأيُ والحربُ والمكيدة؟"[1]. و كما توقّع رضي الله عنه، **لم ينْهره** النبي ﷺ و **لم يحتقره** و لم يقل له **"من تكون أنت حتى تتجرأ فتشير على نبيّ مسدّد بالوحي؟"** و لا قال له مستهزئا **"من أي كلية حرب تخرّجت؟"**. و لا سأله **"ما كانت رتبتك في الجيوش؟"** و لا "كم من حديث تحفظ؟"، و لا "كم من آية تحفظ من القرآن الكريم؟" و لا سأله عن تعريف الحرب و الجهاد لغة و اصطلاحا، أبداً . كل هذه المُكبّلات للعقل و الفكر التي ابتُلي بها تعليمنا العالي و يُحجر بها فيه على التفكير تحت يافطة "الضوابط" لم تكن من هديه ﷺ حتى في خَطْب جَلل مثل غزوة بدر.

---

[1] قال ابن إسحاق : "فحُدثت عن رجال من بني سَلمة، أنهم ذكروا: أن الحُباب بن المنذر ابن الجَموح قال : يا رسول الله ؟ أرأيتَ هذا المنزل ، أمنزلاً أنزلَكه الله ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأيُ والحربُ والمكيدة؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . فقال : يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم ، فننزله ثم نُغَوِّر ما وراءه من القُلُب ، ثم نبنى عليه حوضاً فنمُلؤه ماء، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرتَ بالرأي . فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ، ثم أمر بالقُلُب فغُوِّرت[1] ، وبنى حَوْضا على القُلُب الذي نزل عليه فملىء ماء، ثم قذفوا فيه الآنية"

فهو ﷺ من هو، الذي يربّي و يبْني المسلم الصالح المُصلح، **شجع الحباب** رضي الله عنه **و شجع من خلاله باقي الصحابة معه على التفكير و على استعمال نعمة العقل في كل المواقف و المقامات و لا سيما الخطيرة منها.** و فيه تشجيع لكل المسلمين من بعده إلى يوم الدين على **التفكير** أمام أيّ كان، ما لم يخشى على نفسه من ظلمه، لأنه مهما علا مركزه لن يصل قدره إلى قدر سيد الخلق. و في قبوله ﷺ سؤال الحباب رضي الله عنه، **درسٌ خطير** لكل المسلمين إلى يوم الدين، من الآباء إلى القادة و الحكام مرورا بالأساتذة و المعلمين. ففيه درس لهم منه ﷺ في التحلي بحسن الاستماع للصغير و للكبير في كل المواقف.

و إن كان هذا الموقف ببدر هو موقف حرب ضد الكفار، فالأب و الأستاذ بالخصوص هو في حرب لا تقل أهمية عن حرب الكفار بالسيف أو بالحديد و النار، لأنها الحرب على الجهل في بناء المسلم و منه في بناء الأمة المسلمة التي أرادها الله خير أمة أخرجت للناس كنموذج يُقتدى به و شاهِدةً عليهم بوسطيّتها و حِكمتها و بنور الله الذي تمشي به بينهم. و على هذا الأساس أتقدم لأساتذة التعليم العالي الكرام بهذه الورقة من مسلم له تجربة أربعين سنة بالتعليم[1]. و برجوعه إلى الجامعة لاستكمال تفقهه في الدين من بعد حصوله على التقاعد، لمس إشكالات في نمط التدريس و في نمط جل الامتحانات و جل مواضيع و أشكال العروض و البحوث، فاتضح له أن نقائص و عيوب التعليم الأساسي ممتدّة للتعليم العالي و تعيق المهمة الخطيرة الموكولة له في بناء الإنسان المسلم البناء السليم. و من شأن امتداد تلك العيوب إلى التعليم العالي أن تُكرّس أسباب التخلف الذي ظلت تعاني منه الأمة منذ ألف سنة تقريبا و حتى يومنا هذا، فتقهقرت إلى العالم الثالث من بعد ما كانت بهدي ﷺ **في التفكير و الإبداع** هي **العالم الأول** طيلة الخمس القرون الأولى من تاريخ المسلمين. فما هو الإشكال و ما هي تداعياته؟ ثم ما هي الحلول العملية من هديه ﷺ لمعالجته؟

1. كُنه الإشكال:

ككل الأمم و الشعوب، و مع اطّراد التطوّر السريع للحياة العصرية، نعيش مشاكل سياسية و اقتصادية و اجتماعية و مشاكل في أنماط تسيير و تدبير جل القطاعات و المرافق العمومية. و لحلّها و للتغلب عليها أصبحنا نضطر للاستنجاد بعقول أجنبية أو بعقول مغربية مكوّنة حصرا بالخارج. و كل رأسمال تلك العقول يُختزل في القدرة على التأمل و التدبر و في حسن التفكير و الإبداع و الابتكار ثم في جودة التخطيط و التنفيذ. و هذا الوضع الذي تعيشه بلادنا غير سليم و لا يشرف تعليمنا العالي. فأين الخلل ؟ و ما هو الحل ؟

الإشكال يكمن في تعليم عالي **حـــيـــنما، بأنماط تدريسه و اختباراته**[2]، لا ينتج كما يحب، **عقولا خصبة** في التفكير و الإبداع و الابتكار. و لمن يستنكف من هذا الأمر و ينكره و يعترض عليه، نقدر غيرته على تعليمنا العالي، إلاّ أن **عجز** العقول المتخرّجة من جامعاتنا و معاهدنا العليا حتى اليوم عن إغناء البلاد عن الاستنجاد بالعقول المكوّنة بالخارج لحل مشاكلنا، يشكّل مؤشرا قويّا على فشلها في مهمّتها. فعدة قطاعات عمومية بكبرى حواضرنا فُوّضت للتسيير من طرف شركات أجنبية، و لا زال هناك إجماع بين كل نخبنا على ضعف أداء قطاعات عمومية حيوية و خطيرة من مثل التعليم و الصحة و العدل، بالرغم من مرورها تحت إشراف نخب و كفاءات من كل التيارات و المشارب السياسية و كل أنواع الكفاءات الأكاديمية و التكنوقراطية. بل أكثر من ذلك، فالسياسيون أنفسهم و بكل أطيافهم و في كل المحافل و على رؤوس الأشهاد، لا زالوا يشتكون من عجزهم عن إيجاد مشهد سياسي واضح المعالم يحظى بمصداقية لذا مجمل المواطنين[3]. و جل تلك النخب متخرّجة من جامعاتنا.

---

[1] و له رؤية لإصلاح التعليم أساسها هديه ﷺ الذي يحث المسلم على تعميق النظر فيما حوله و التفكير و التقدير و الإصلاح ما استطاع و لو النصح. و هذه الرؤية منشورة على الشبكة بالموقع التالي : http://reformenseignement.over-blog.com

[2] نقول " **حـــيـــنما، بأنماط تدريسه و اختباراته** " حتى لا نبخس الناس حقهم، فليست معنية بذلك كل الكليات و المعاهد و المسالك ببلادنا التي تنهج البحث العلمي الميداني و تسهم في تنمية العلم و إغنائه بالجديد من المعرفة، من مثل المعاهد العليا البيطرية و الفلاحية التي أثمرت و لله الحمد مهندسين أكفاء يساهمون في تطرير قطاع الفلاحة و الصيد ببلادنا بل منهم من بادروا في مجموعات بتأسيس تعاونيات فلاحية جد عصرية تزود حاجيات السوق الداخلي و حافظت على تنافيسية المغرب في التصدير.

[3] كتبنا هذا المقال قبل ما أصبح يسمى اليوم **بالربيع العربي**. و كل السياسيين العرب يعترفون بأن هذه الثورات الشعبية هي التي كان لها الفضل في التقدم السياسي الحاصل و ليس للنخب. و لما احتيج لإعادة النظر في الدستور المغربي من بعد خطاب 9 مارس، لم نسمع و لو بفقيه واحد متخصص في الدراسات الإسلامية من بين من استدعي للتفكير في تلك المراجعة، و كأن أمر الدنيا ليس من مجال الدين، لأن المهتمين بهذه الدراسات حشروا أنفسهم في زاوية لا علاقة لها بالواقع المعيش، فعَلْمنوا الشأن العام، بمعنى فصلوه عن الدين، من حيث قصدوا أو لم يقصدوا.

ذلك فيما يخص التعليم العالي بصفة عامة. إلاّ أنه بالرغم من كون هذه المشاكل الاقتصادية و الاجتماعية و الإدارية و السياسية، و مشاكل التسيير و التدبير كلها **من صميم الدين،** فبمجرد الملاحظة و التأمل، تجد التدريس في **شعبة الدراسات الإسلامية، و** على غرار باقي المسالك، يدير هو كذلك ظهره لتراكم تلك المشاكل. و بعيدا عن هموم المجتمع ينشغل **بلـــــوْك** ثراث السلف الصالح و المُصلح **لوْك العلك،** بل يتلذذ باستنساخ ما أبدع فيه ذلك السلف على نهج هديه ﷺ لمعالجة مشاكل زمانه و التي لم تعد قائمة. و لو قام ذلك السلف اليوم من قبره لوجدتَه يغض النظر عن كل التراث الذي خلّفه منذ قرون خلت، و تسلّح بهديه صلى الله عليه و سلم من جديد، ثم انكبّ بجدّ و حزم على مشاكل عصر خلَفِه العاجز اليوم عن حلها، كي يدرس كلا منها **دراسة ميدانية و علمية و بوسائل العصر الحديثة، و لو كانت من إنتاج غير المسلمين، و لا يبحث إلا فيها من دون غيرها،** فيفكر في إيجاد الحلول الناجعة لها، و لن لا يتردد في إطلاق العنان لنعمة العقل من أجل الإبداع و الابتكار ثم اتخاذ القرار و التنفيذ.

و لا شك أن الأمر في باقي شُعَب التعليم العالي ببلادنا لا يختلف عن واقع شعبة الدراسات الإسلامية، من حيث تجد الدراسة فيها كثيرا ما تنحصر كذلك في لوْك النظريات الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية الجاهزة و المستنسخة من الكتب القديمة و الحديثة، الأجنبية منها و المحلية، و لكن من دون لا مراجعتها، و لا التحقق من مصداقيتها على أرض الواقع في مجتمعاتنا ببحوث ميدانية و إيجاد بديلا لها عند الضرورة يوافق واقعنا، و لا حث الطالب بدوره من خلالها على التفكير و البحث في مشاكل عصره، و لا على الإبداع و الابتكار لإيجاد حلول مناسبة لها. فتجد الأستاذ المحترم الحاذق و الطالب النجيب هو من يغرقُك بأسماء الكتب و أسماء مؤلفيها من كل حدب و صوب و كأنه كُتبيّ، و من دون أدنى رأي خاص له فيها، بل تجده يُسلّم بكل ما فيها بقدسية و كأنه وحي منزّل و كأن واقعنا المعقد و المتحرك على الأرض مطابق تماما لما في الكتب و سيظل مطابقا لما فيها إلى الأبد. و ينتج عن ذلك النمط من التعليم شللٌ لملكة التفكير، تلك النعمة الربانية التي يتميز التعليم بالغرب و بغيره من الدول المتقدمة على تعليمنا بتنميتها و تفعيلها.

و هكذا تجد **في** التعليم العالي عندنا مسالك يُقتصر فيها على استنساخ ما في الكتب من مصادر و مراجع و حث الطالب على تحميله *téléchargement* في الذاكرة و استظهاره كما هو يوم الامتحان. أما التفكير في الحلول لمشاكل العصر المتتالية و المتراكمة بالدراسة و البحث الميداني فتبقى موكَولة حتى اليوم لمن تخرّج من جامعات الغرب و من معاهده و من مراكز و مكاتب أبحاثه من الأجانب و المغاربة، لأنه لا يُحْجر فيها لا على إمعان النظر في الواقع المعاش و لا على التفكير في إبداع و ابتكار الحلول لمشاكله و لا على الجرأة على التحليل و التجريب ثم على العزم و التنفيذ. و الذي نغفل عنه هو أن هذا النمط من التفكير الذي أنتج هذه المدنيّة المتقدمة بالغرب و بغيره هو من صميم هديه ﷺ و مقتبس منه من بعد سلخه من أصله و من بعد أن أتى أُكْله مع السلف في القرون الخمس الأولى من تاريخ المسلمين.

2. <u>محاولات معالجة الإشكال بالتي كانت هي الداء:</u>

صدرت في هذا الموضوع من المسلمين كتبٌ كثيرة و لا زالت تصدر تحت عناوين شتى. و القاسم المشترك فيها هو نسبة لفظة **"أزمة"** للعقل و الفكر المسلم[1] كتفسير لتخلفنا منذ ما يقرب من ألف سنة حتى اليوم. و اطّلعت على بعضها فوجدتها هي نفسها نتاج لتلك الأزمة من حيث تتوخى **"العلميّة"** و الحيْطة و الحذر **فتكبّل الفكر و التفكير و الإبداع** بالتشدّد المفرط في احترام الضوابط و الشروط و الدقّة و المصادر و المراجع بالقدسية التي لا تليق إلا بالوحي الربّاني، لدرجة إفراغ الكتاب من الفائدة. و الأمر في الواقع و في أغلب الأحوال لا يتعلق إلا بما يصطلح على تسميته **بالمصالح المرسلة** و التي تستدعي التفكير و الإبداع و الابتكار من دون أي إفراط في القيود المكبّلة للعقول. فتتحوّل تلك الكتب إلى مجرد تراكم لا متناهي لنسخ منقّحة لنفس المصادر و نفس المراجع التي يُعتمد عليها في التأليف بالتّيه في التعاريف لغة و اصطلاحا، و بالتفاصيل و تفاصيل التفاصيل التي تضيع معها الحقيقة المطلوبة و الحلول المنشودة، و تنتهي ب **"يجب فعل كذا و كذا"** من دون ذكر و لا تحديد الكيفية العملية و الدقيقة لتحقيق **"ما يجب فعله"**. بذلك يكون الرجوع إلى تلك الكتب من قبيل **"داوني بالتي كانت هي الداء"**. و ذلك

[1] منها مثلا كتاب "ارمه الفكر الإسلامي المعاصر" للدكتور محمد عماره، و كتاب "خواطر في الأزمه الفكريه و المأزق الحضاري للأمة الإسلامية" لطه جابر العلواني، و كتاب "ارمه العقل المسلم" لعبد الحميد احمد ابو سليمان

جدّ طبيعي لأن كتّابها هم أبناء و نتاج نفس العقل المتأزم و الذي عانت منه الأمة منذ ألف سنة. و **التعجب و الانزعاج** من هذا الرأي، و طلب تبريره، هو بالضبط وليد ذلك الفكر، الذي دأب على الحِجْر على التفكير و على المخالفة و على الإبداع.

3. تداعيات الإشكال :

توقّف اليوم هذا الفكر المتأزم و منذ عشرة قرون، عاجزا عن ابتكار حلول لمشاكل الدولة العصرية المستوردة أو المستنبتة على أرضه بعد أن أنتج سلفه منذ قرون بالحواضر الإسلامية و على هدي الرسول ﷺ مثيلا لها في أبهى صوّره. فظل **عقل الخلف** متوقفا عند ذلك الإنتاج الزاهر يمدحه و يتبجّح به مع العجز الدائم عن تطويره في عالم ظل يتغيّر و يتقدم من حوله و بسرعة فائقة حتى أتى "الاستعمار الغربي" بالدولة العصرية، كآلة نجحت حيث ابتُكرت، و لا زلنا نحن نتلمّس حتى اليوم **مغمضي العينين** بل **بعينيين في القفا** حلولا لكي تنجح كما نجحت في مهدها الذي ابتُكِرت فيه. و بالمناسبة فالدولة العصرية و على ضوء هديه ﷺ هي مكسبٌ كبير للعالم الإسلامي وجب العض عليه بالنواجذ. و لكن معالجة مشاكل التعليم فيها و الصحة و العدل و السياسة و الهشاشة الاجتماعية و مظاهر التسوّل و الجريمة كلّها من صميم الدين الإسلامي. إلاّ أنه بنمط التعليم و الاختبارات فيه و المستنسخ لنفس الفكر المتأزم، لا زالت كلها عندنا في هذه الدولة العصرية المستنبتة على أرضنا بلا حلول ناجعة بالنظر لفقر في الفكر و الإبداع و ليس في المعلومات التي عرفت تضخما لا مثيل له من دون عقل مبدع يستثمرها.

فكما سبق ذكره، مرت على تسيير هذه القطاعات منذ فجر الاستقلال إلى اليوم جل التيارات و المشارب السياسية و الإيديولوجية من دون نتيجة تذكر. فهل للتيار البديل الذي لم يلج بعد دفة الحكم حلول[1]؟ أشك في ذلك إذا كان و ظل مجرد نتاج لنفس نمط التعليم و لنفس أنماط الامتحانات و الاختبارات حيث يقع التركيز على الحفظ و الاستظهار و يُحجر فيه بقوة على التفكير و الإبداع، و حيث تغيب البحوث الميدانية لوصف حال الواقع المعاش وصفا علميا دقيقا. و بغياب تلك البحوث السوسيلوجية الميدانية يظل التعليم العالي مجرد امتداد للتعليم الثانوي ليس إلاّ.

4. الأصل المستبعد و الذي يُعمل بعكس تعاليمه حتى المتخصصون في علومه

استوطن العُقم الفكرَ المسلم على العموم، و استقر في الفكر العربي على الخصوص منذ عشرة قرون تقريبا، بعد أن اشتعل وهج العقل المسلم طيلة القرون الخمس الأولى من تاريخ المسلمين، و أضاء الدنيا كلها بنوره، و ما يوجد اليوم من نور في المدنية الحديثة فأصله ذلك النور. و المتسائل عن ينبوع ذلك النور الوهّاج يجده غير بعيد بل جد قريب. يجده بكل بساطة و بالتأمل بعقل متنوّر في هدي القرآن الكريم **الذي شاء الله أن ينزله منجما ليعالج الواقع في حينه.** و يجده في هديه ﷺ **و** في سيرته الشريفة مع صحابته رضوان الله عليهم[2]، الذين ساروا به في حياتهم على النهج القويم و السديد في التفكير و **الإبداع** [و ليس **الابتداع**[3]] و الذي ربّاهم عليه، ثم سار عليه من بعد وفاته التابعون و تابع التابعين إلى حدود القرن الرابع و الخامس الهجري.

ففي القرآن الكريم كله الجدر (ف-ك-ر) من حروف الفاء و الكاف و الراء، و الجدر (ع-ق-ل) من حروف العين و القاف و اللام، جاءا حصرا بصيغة **الفعل** و ليس بصيغة الإسم، للدلالة على **الحركة المستديمة** التي لا تتوقف، و لكن بحسب الوجهة إما تصيب أو تخطئ. و الوجهة الصحيحة في القرآن الكريم و في سنته و سيرته

---

[1] نذكر مرة أخرى أننا كتبنا هذا المقال قبل الربيع العربي الذي دفع بقوة و بصفة ديمقراطية للحكم في تونس و المغرب و ليبيا و مصر.

[2] فمن بين هديه ﷺ في **فقه الواقع**

- من مسند أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ "نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ وَعَنْ لُحُومِ الْأَضَاحِيِّ بَعْدَ ثَلَاثٍ وَعَنْ النَّبِيذِ فِي الدُّبَّاءِ وَالنَّقِيرِ وَالْحَنْتَمِ وَالْمُزَفَّتِ قَالَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ أَلَا إِنِّي قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ ثَلَاثٍ **ثُمَّ بَدَا لِي فِيهِنَّ**
  1. نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ **ثُمَّ بَدَا لِي أَنَّهَا تُرِقُّ الْقَلْبَ وَتُدْمِعُ الْعَيْنَ وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ فَزُورُوهَا** وَلَا تَقُولُوا هُجْرًا
  2. وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحُومِ الْأَضَاحِيِّ أَنْ تَأْكُلُوهَا فَوْقَ ثَلَاثٍ لَيَالٍ **ثُمَّ بَدَا لِي أَنَّ النَّاسَ يُتْحِفُونَ ضَيْفَهُمْ وَيُخَبِّئُونَ لِغَائِبِهِمْ فَأَمْسِكُوا مَا شِئْتُمْ**
  3. وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ النَّبِيذِ فِي هَذِهِ الْأَوْعِيَةِ **فَاشْرَبُوا بِمَا شِئْتُمْ وَلَا تَشْرَبُوا مُسْكِرًا** "

[3] و هو التغيير و التحريف بالنقص و الزيادة في فقه العبادات و فقه المعاملات حصرا التي هي توقيفية منه سبحانه و تعالى و لا دخل للإنسان فيها سوى الفقهاء المجتهدون. أما السياسة الشرعية و غيرها فتخضع لفقه الموازنات الشرعية بضوابطها و من قبل المتخصصين فيها، و كل ما تبقي فهو من قبيل المصالح المرسلة التي ليست فيها نصوص شرعية لا بالاعتبار و لا بالإلغاء و التي لا قيد للعقل فيها لا على الإبداع و لا على الابتكار.

صلى الله عليه و سلم، هي المسير بنعمة العقل في الحياة **بعينين**، عين على الحاضر و المستقبل بالأساس و عين على الماضي اضطرارا.

فبحكم أن الإنسان خلقه الله في كبد، كان عقل و فكر المسلم في القرون الأولى من تاريخ المسلمين يسير في الحياة بعينين، الأولى و هي الأهم تنظر إلى مشاكل الحاضر و المشاكل المتوقعة في المستقبل، فتدرسها بموجب فقه الحالة، و عين تنظر في الماضي تبحث فيه عما قد يفيد العقل و الفكر في المشاكل الحاضرة حتى لا تبدع و تبتكر في إيجاد الحلول من فراغ، فتسقط في أخطاء الماضي. بذلك لم يكن العقل المسلم كحاله اليوم و منذ قرون، **يـــســـكـــن في الماضي حصرا و لا يحيد عنه قيد أنملة** كمن **يمشي في الحياة و عيناه في قفاه**. أما على هديه ﷺ فسرعان ما كان يتحوّل العقل المسلم من الماضي إلى الحاضر ليفكر و يقدر و يتعقل ثم يبدع و يبتكر و يقرر **فيبني** الحاضر و المستقبل على ما سبق **فيتقدم**.

5. المفارقة بين السلف و الخلف:

مسلمو القرون الأولى من تاريخ الإسلام التزموا بهدي الله و هدي نبيه ﷺ فكانوا **يفكرون** و **يعقلون** فأبدعوا و ابتكروا باستفراغ الجهد الفكري من أجل إيجاد الحلول الناجعة لمشاكل عصورهم. و من ثمّ تركوا تراثا فكريا و علميا و حضاريا هائلا و عظيما في كل المجالات. إلا أن جل الأجيال التي تلتهم و حتى اليوم عطّلت عقولها أمام مشاكل عصورها و **ســكــنــت** في ذلك التراث المجيد **تلوكه** و **تلوكه** ثم **تلوكه** و لا زالت حتى اليوم **تلوكه بنهم و تلذذ**، تاركة وراء ظهرها مشاكل عصرها تتراكم من دون معالجة و لا حلول، فتأخرت بالتخلي عن هديه ﷺ في حسن التفكير و التعقل و الإبداع، في الحين الذي تَقدّم بنفس الهدي غير المسلمين من دون الإشارة إلى أصله.

6. أصل الفكر المبدع عند غير المسلمين:

فالرسول ﷺ في كتب غير المسلمين هو ذلك الرجل العظيم الذي حوّل ليس فقط الجزيرة العربية إلى أرقى دولة في ظرف عقدين من الزمن و حوّل بدْوَها إلى سادة العالم، بل حوّل مسار الإنسانية بأكملها حتى اليوم. **فالإنسانية من بعد بعثته ﷺ ليست هي التي عرفها كل تاريخ البشرية من قبلها**. و لهذا انكبّت الشعوب الذكية و الفطنة التي تستعمل نعمة العقل خير استعمال على دراسة حياته ﷺ من الناحية الأخطر في سيرته، و التي تكمن في الجانب **التكويني و التربوي لأصحابه من حوله**، و التي ما سبقه ﷺ بها بشر من قبله و ما عرف التاريخ مثلها من بعده إلا في القرون الأولى بدار الإسلام و منذ قرن النهضة بالغرب و ما بعده.

ثم ظل ذلك حتى اليوم، حال و دأب غير المسلمين في الحين الذي تتركز فيه الدراسة و التعليم و الامتحانات و العروض و "البحوث" عندنا على ما في المصادر و المراجع من المواضيع التي أبدع فيها أسلافنا على هديه ﷺ أيّما إبداع لحل مشاكل عصورهم و التي أصبح مفروغا منها و محسوما فيها بتلك العلوم التي أبدعوها. و ظل يعالجها خلفهم حتى اليوم و يتلذذ بإعادة معالجتها بل يتفنّن في تفصيلها و إعادة تفصيلها و في الإغراق في تفاصيل تفاصيل الأسانيد و الشروح و في معاني الألفاظ و حتى الحروف، كمن **يحرث في الرمال** أو كالذي يتلذذ بتشريح جثة هامدة مدة عشرة قرون و جيل بعد جيل، فمزقها تمزيقا و إربا إربا، في الحين الذي ظلت تتراكم فيه المشاكل على الأمة طيلة كل ذلك الزمن الطويل من دون فكر نيّر على هديه ﷺ يتصدى لها كما تصدى لها السلف الذي تعْكف عقول الخلف على الاستمرار في تشريح تراثه.

7. أمثلة على ما يتلذذ الخلف بحصر العقل في لَوْكه

فعلم الأنساب و علم الرجال و الجرح و التعديل و أصول الفقه و علوم القرآن و علوم الحديث و مقاصد الشريع و ما نتج عن كل ذلك من فقه غني يليق بعصره، ابتدعه ذلك السلف الصالح **لمهمة معينة** و جدّ خطيرة في وقتهم بالنظر لما يترتّب عليها من أحكام تكليفية. فلم يبدعوا **علم الجرح و التعديل** مثلا، من باب التّرف و لا كغاية في حد ذاتها، بل ابتكروها كمجرد آلة و وسيلة **لإثبات الصحيح من السنة الشريفة** في وجه كل من تجرأ حينها على

الكذب على رسول الله ﷺ. و بفضل الله و باتباع هدية ﷺ و بإمعان النظر في ذلك المشكل الذي كان من مشاكل ذلك العصر و بالتفكير فيه مليا و بالتقدير و بالتعقل، تحقق الهدف المنشود ليس بالانفعال و رفع السيف ضد الكذّابين، بل بعلم سيظل قائما في وجه أمثالهم إلى يوم الدين. و من نتائجه بحمد الله إثبات السنة الصحيحة. **و بذلك استنفد علم الرجال و غيره المطلوب منه**. و لكن بقيت الأجيال التي تلت ذلك السلف الصالح و المُصلح و منذ ألف سنة و حتى اليوم **تـــــــــلـــــوك تلك العلوم** ثم **يلوكها** من جديد جيل بعد جيل و كأنها لم تُشبَع لوْكًا، و كأنّها وُجدت للّوْك كغاية في حد ذاته، و كأنها لا زالت لم تؤدي وظيفتها و لم تحقق بعدُ الغاية التي ابتُكرت من أجلها. و يتباهى بين أقرانه من يثقنها و يغفل عن المهم و الأهم في سيرته ﷺ الذي حث كل جيل من بعده على النظر في مشاكل عصره بالتفكير العميق و حسن التقدير ثم الإبداع و الابتكار و العزم والعمل بعد التوكل على الله. و مرة أخرى فنمط التعليم هو الذي ظل يكرس هذا الفكر العقيم، كيف؟

8. تواريث أزمة الفكر المسلم عن طريق نمط التعليم و أنماط امتحاناته و بحوثه

هذا من بين أعظم **آفـــــــــــــــــــات** التعليم حتى اليوم، ليس فقط في علوم الدين، بل يتعدّاها إلى التلذذ باللّوْك الذي يشلّ الفكر و التفكير و العقل و التعقّل حتى في كليات الطب و الهندسة[1] التي يتم فيها التركيز دائما على الحفظ و الحفظ ثم الحفظ، و الويل فيها لمن يتجرأ فيفكّر لأن الموروث من فكر القدماء من المسلمين و غير المسلمين حتى في العلوم الكونية، ظل لقرون و حتى اليوم مقدسا كقدسية الوحي. و من حيث لا تريد و لا تقصد حولت تلك الكليات و المعاهد عندنا عقول طلبتها، بلغة الحاسوب، إلى مجدر **أقراص مدمجة** أو **أقراص صلبة**. فالامتحانات لا تتطلب من الطالب إلا مجرد **رد البضاعة لصاحبها** من دون فرصة لا للتفكير و لا للتلخيص و لا للتركيز على المهم و الأهم.

و كلما جاء في الأجوبة على أسئلة الامتحان من نقص أو زيادة و لو معقولة تعاقب. أما الإدلاء بالرأي فيها فيستوجب الرسوب لأنه على منوال التحميل بالحاسوب، فلا مكان للفكر في التحمّل و التحميل. و نتساءل مع ذلك عن سبب إغلاق باب الاجتهاد في الدين و هو في واقع الحال مغلق في جلّ المجالات[2]. تُرى كيف يجتهد في أمور الدين من امتلك **المادة** من قرآن و علومه و حديث و علومه و فقه و مواضع الإجماع، و تخصص في علوم الآلة من لغة و أصول الفقه و هو في نفس الوقت **لا يحسن التفكير و التأمل** كي يفقه الواقع و النوازل، بحكم أنه طيلة حياته الدراسية لم يتعوّد عليه و لم تتح له الفرصة لممارسته، لا حين التلقين و التحمّل و لا في الامتحانات و الاختبارات و لا في العروض و البحوث؟؟ و كيف يجتهد في أمور الدين من تخرّج من مسلك الدراسات الإسلامية حيث يغيب **علم الاجتماع** الذي بوسائله العصرية الملائمة لواقع الحال المعقد **يتعذر فقه الواقع**؟؟؟ فاليوم من دون دراسة علم الاجتماع و التمكّن منه يستحيل فقه الواقع و من تمّ يستحيل الاجتهاد المثمر و السديد و الرصين. فما الفائدة إذن من دراسات إسلامية منفصلة عن واقع المسلمين؟؟؟ تلك هي العلمَنة التي يناهضها المسلمون مبدئيا و يعملون بعا في التعليم و التكوين من حيث لا يشعرون و لا يقصدون.

بانفصال الدراسات الإسلامية عن واقع المسلمين يعيش المسلك بأساتذته و طلابه منزوي فكريا في قوقعة على هامش المجتمع. و لذلك فقليلا ما تجد أبناء و بنات أساتذة هذا المسلك من بين طلبته، لعلم أبائهم المسبق بأنه من بعد تخرّجهم يصعب و يُستبعد وجودهم من بين نخب المجتمع في المراكز المرموقة لا في القطاع الخاص و لا في القطاع العمومي، و التي يتمناها كل أب لأبنائه و بناته. و بذلك الانفصام غير الطبيعي بين مسلك الدراسات الإسلامية و واقع المجتمع فلا حاجة في امتحاناته لأسئلة تستدعي التأمل و التفكير و تستفز نعمة العقل و تستنفر ملكة الإبداع و الابتكار، لأنه من المعلوم مسبقا في المسلك أن المتخرّج منه لن يكون في مواقع تتطلب التفكير، فلن يكون لا من بين القيادات في البلاد و لا في مراكز القرار. و الذي يُغفل عنه أن النجاح في كل مناحي الحياة الشخصية منها و العامة تتطلب حسن التذبر و حسن التفكير.

[1] مرة أخرى، حتى لا نبخس الناس حقهم، فليست معنية بذلك كل الكليات و المعاهد و المسالك ببلادنا التي تنهج البحث العلمي الميداني و تسهم في تنمية العلم و إغنائه بالجديد من المعرفة، من مثل المعاهد العليا للبيطرة و الفلاحة و غيرها.

[2] بل من حيث لا يشعرون قد يتساءل عن ذلك حتى الأساتذة الذين يمارسون هذا النمط من التعليم

و عليه فكل ما كانت الأجوبة على أسئلة الامتحانات في المسلك مطابقة **للتحمّل و للتحميل** *téléchaegement* و كل ما كانت وفيّة لكل تفاصيل الدروس و جزئياتها كانت جيدة و تستحق أحسن النقط. هكذا تجد الطلبة المساكين عند قرب الامتحانات يبحثون عن الأماكن الهادئة يجوبونها ذهابا و إيّابا كالمجانين لتحمّل أتعاب **الــــــــتّــــــــحــــــــمــــــــل** "*téléchaegement*" مُكرَهين و كارهين و نافرين حتى من العلم و التعلّم، و كل همّهم مركّزٌ على النقطة و الشهادة و ليس على التكوّن و التسلّح بالعلم لرفع تحديات البناء و التنمية في مجتمعهم الذي يعاني من تراكم المشاكل حتى البسيطة منها و التي يُستدعى لها من تكوّن بالجامعات الغربية و غيرها من الدول المتقدمة كي يعالجها بالنظر لتكوينه فيها بالنمط الذي يليق بتلك المهام[1].

فحتى **جمع نفاياتنا** و **النقل بحواضرنا** و **توزيع الماء و الكهرباء** عجزنا عن حسن تدبيرها، فوُكّلت و لا زالت توَكّل لشركات أجنبية، **كل رأس مالها يتلخّص في عقول تمرّست في الجامعات بالغرب و غيره على التفكير و الإبداع و ليس على مجرد الحفظ. فالأزمة اليوم ليست أزمة معلومات تخزّن في الذاكرة، لكنها عندنا أزمة عقل يفكر فيحسن استعمالها و استثمارها.** فالعقول بالغرب و بغيره من الدول المتقدمة تمرّست بجامعاته على التفكير و الإبداع على النحو الذي كان عليه السالف الصالح و المُصلح، بسَيْره على هديه ﷺ، و الذي جعل منهم الخلف، مع الأسف الشديد في مسلك الدراسات الإسلامية ليس فقط بالمغرب، مجرد **إيقونات** تُمْطَر بكل عبارات التقديس و يُنبش بنَهم في تراثها نبشاً لا يقل تقديسا، و لكن من دون لا عبرة و لا اعتبار. فبالإفراط في انكباب الخلف على هذا التراث من دون لا عبرة و لا اعتبار يكون بحق، كمن يمشي مُكبّا على وجهه، فلا يرى ما بحاله حتى يضطر للاستنجاد بغير المسلمين لحل مشاكله.

9. <u>الأزمة اليوم ليست أزمة حفظ معلومات و لكنها أزمة عقول تحسن استثمارها:</u>

و لا يدري من يصرّ على هذا النمط من التعليم المجمّد للفكر و المشلّ للعقل أن الأزمة اليوم **ليست أزمة معلومات**، لأنه حتى محركات البحث في الشبكات العنكبوتية علاوة على توفّر الكتب تفي بالغرض. و لكن من توفر على المعلومة و لم يتربّى طيلة حياته الدراسية على استثمارها في الوقت المناسب بالتفكير السليم يُخْتزل كل عقله في مجرد **برنامج بحث** عن المعلومات متصل **بذاكرة صلبة** مثل محرك البحث *Google* و غيره على الشبكة، بل أقل منها سرعة و شمولا، لأن امثال هذه المحركات تأتيك بالمعلومة المطلوبة قبل أن يرتد إليك طرفك، و ليس فقط بكم هائل من المعلومات زيادة في كل المجالات، بل حتى بالمصادر و المراجع، و الآت إن شاء الله مستقبلا و عمّا قريب أكبر و أعظم. فالأزمة كل الأزمة هي فقط في غياب الفكر القادر على استعمال و استثمار تلك المعلومات. فإذا كان هذا هو حال المسلمين منذ ألف سنة في أزمتهم مع نعمة العقل فماذا عن هديه صلى الله عليه و سلم في أنماط التفكير التي جعلت من المسلمين خلال القرون الخمس الأولى من تاريخهم سادة و قادة العالم؟

10. <u>هديه صلى الله عليه و سلم في التربية على استثمار نعمة العقل</u>

كانت منهجيته ﷺ في في تربية و تكوين الصحابة رضوان الله عليهم، جد بسيطة، و تكمن في حثهم على **الــــــــتــــــــفــــــــكــــــــيــــــــر** أمام كل المواقف الصعبة و الغير المتوقعة، و الذي مع الأسف الشديد و على غير هدية ﷺ ، يُحْجر عليه بقوة في جل تعليمنا اليوم من الابتدائي حتى العالي. فالأمثلة في حثه ﷺ على استعمال نعمة العقل و التفكير لا تحصى. و لكنها **تـــــــلك** في تدريس سيرته ﷺ كمجرد أحداث مع الغوص في تفاصيل التفاصيل ثم يُمتحن الطالب في تلك التفاصيل و ينصبّ عليها كل اهتمامه من أجل النقطة من دون لا عبرة و لا دروس، فلا يُلقى لمعانيها العميقة بال و لا تصبح في حياته اليومية سلوكا.

و من تلك الأمثلة قصة **الحباب بن المنذر** رضي الله عنه في غزوة بدر، و التي وردت في التوطئة أعلاه. و منها أيضا قصة **سلمان الفارسي** رضي الله[2] عنه في غزوة الأحزاب، لما أشار على نبي الله صلى الله عليه و سلم بحفر

---

[1] و قد لا يكون مثل هذا الطالب حتى مؤهلا للنجاح في حياته الخاصة التي لا يُستغنى فيها عن التفكير السليم للخروج من مشاكلها المتتالية و المتواترة في كل يوم و كل لحظة، و منها الاندماج الإيجابي في المجتمع بإيجاد مورد رزق مشرف ينفع به مجتمعه و ببناء أسرة مطمئنة على حالها بالعيش الكريم.

[2] من زاد المعاد قول ابن القيم رحمه الله " لما سَمِعَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بمسيرهم إليه، استشار الصحابةَ، فأشار عليه سلمانُ الفارسي بحفر خندقٍ يحُول بين العدوِّ وبينَ المدينة، فأمر به رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فبادر إليه المسلمون، وعَمِلَ بنفسه فيه، "

الخندق، فقبلها منه ﷺ و سميت الغزوة بغزوة الخند كعنوان لهديه ﷺ في الحث على التفكير و الابتكار. فلا شك من أن سلمان رضي الله عنه بلغته قصة الحباب رضي الله عنه في غزوة بدر و زادته قوة في تأثره بهديه صلى الله عليه و سلم في الحث على استعمال نعمة العقل و استثمارها في حل مشاكل الحاضر و المستقبل.

و من تلك الأمثلة أيضا، و هي لا تُحصى في سيرته صلى الله عليه و سلم، **قصة السعدين** في نفس الغزوة حيث قال ابن القيم رحمه الله " لما طالت هذه الحالُ على المسلمين، أراد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يُصالح عُيينةَ بنَ حِصْنٍ، والحارثَ بنَ عوف رئيسى غَطَفَان، على ثُلثِ ثِمار المدينةِ، وينصرفا بقومهما، وجرت المراوضة على ذلك، **فاستشار السَّعدين** في ذلك، فقالا: يا رسولَ اللهِ؛ إن كان اللهُ أمَرَكَ بهذا، فسمعاً وطاعةً، وإن كان شيئاً تصنعُه لنا، فلا حاجةَ لنا فيه، لقد كُنَّا نحن وهؤلاء القومُ على الشِّركِ باللهِ وعِبادةِ الأوثان، وهم لا يطمعُون أن يأكلُوا منها ثمرة إلا قِرىً أو بيعاً، فحين أكرمنا اللهُ بالإسلام، وهدانا له، وأعَزَّنا بك، نُعطيهم أموالَنَا ؟، واللهِ لا نُعطيهم إلا السيفَ، فصوَّبَ رأيَهما، وقال: "إنَّمَا هُوَ شَيءٌ أَصْنَعُهُ لَكُمْ لَمَّا رَأَيْتُ العَرَبَ قَدْ رَمَتْكُم عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ ". المبادرة بالحث على التفكير جاءت هنا مرة أخرى منه ﷺ كدرس آخر يكرس هديه صلى الله عليه و سلم في استعمال العقل و استثماره في مشاكل الحاضر و المستقبل من دون الاقتصار على الالتفات للوراء للاستفادة من السلف و التجربة و الخبرة و لكن بسعة النظر الذي يشمل كل الزمان ماضيه و حاضره و مستقبله.

و في نفس الغزوة مثل آخر عظيم على هديه ﷺ في تربية الصحابة رضوان الله عليهم في استثمار نعمة العقل في المواقف الصعبة. جاء ذلك في قصة **نُعَيْمُ بنُ مسعود بنِ عامر** رضى الله عنه الذي قال فيه ابن القيم رحمه الله " أن رجلاً مِن غَطَفَانَ يُقَال له **نُعَيْمُ بنُ مسعود بنِ عامر** رضى الله عنه، جاء إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول اللهِ؛ إني قد أسلمتُ، فمُرني بما شئت" و من بنات **تفكيره الحكيم** صلى الله عليه و سلم أنه قال له " **أَنْتَ رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخَذِّلْ عَنَّا مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّ الحَرْبَ خَدْعَةٌ** " فانظر براعة الإبداع في التفكير من هذا الصحابي رضي الله عنه لما شجّعه النبي ﷺ على ذلك، فجاء فيه عن ابن القيم رحم الله يقول "فذهب نُعَيْمُ بنُ مسعود مِن فوره ذلك إلى بنى قُريظة، وكان عشيراً لهم فى الجاهلية، فدخل عليهم، وهم لا يعلمون بإسلامه، فقال: يا بنى قُريظة؛ إنكم قد حاربتُم محمداً، وإن قريشاً إن أصابُوا فُرصة انتهزوها، وإلا انشمَرُوا إلى بلادهم راجعين، وتركُوكُم ومحمداً، فانتقم منكم. قالوا: فما العملُ يا نُعيم ؟ قال: لا تُقاتِلُوا معهم حتى يُعطوكم رهائِن، قالوا: لقد أشرتَ بالرأى، ثم مضى على وجهه إلى قُريش، فقال لهم: تعلمون وُدِّى لكم، ونُصحى لكم، قالوا: نعم. قال: إن يهودَ قد نَدِمُوا على ما كان منهم من نقضِ عهد محمد وأصحابه، وإنهم قد راسلُوه أنهم يأخذون منكم رَهائِنَ يدفعونَها إليه، ثمَ يُمالِئُونه عليكم، فإن سألوكم رهائِنَ، فلا تُعطوهم، ثم ذهب إلى غَطَفَان، فقال لهم مِثْلَ ذلِكَ، فلما كان ليلةُ السبت من شوَّال، بعثوا إلى اليهود: إنَّا لسنا بأرض مُقام، وقد هلك الكُراعُ والخُفُّ، فانهضُوا بنا حتى نُناجِزَ محمَّداً، فأرسل إليهم اليهود: إن اليومَ يومُ السبت، وقد علمتم ما أصاب مَنْ قبلنا أحدثُوا فيه، ومع هذا فإنَّا لا نُقاتِلُ معكم حتى تبعثوا إلينا رَهائِنَ، فلما جاءتهم رُسُلُهُم بذلك، قالت قُريش: صدقَكُم واللهِ نُعيم، فبعثوا إلى يهود: إنَّا واللهِ لا نُرسِلُ إليكم أحداً، فاخرجُوا معنا حتى نُناجِزَ محمداً، فقالت قُريظة:صدقكم والله نُعيم، فتخاذلَ الفريقانِ"[1] و يا لها من روعة في الإبداع السريع في اختراق العدو من جانبيه من أجل نصرة المسلمين.

و من هديه صلى الله عليه و سلم في نفس الموضوع، قصة **نوفل بن معاوية** رضي الله عنه في حصار الطائف، حيث قال ابن القيم رحمه الله "و لم يُؤذَن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى فتح الطائف، واستشار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نوفلَ ابنَ معاوية الدِّيلى، فقال: "ما ترى؟" فقال: "ثَعْلَبٌ فى جُحْرٍ، إن أقمتَ عليه أخذتَه، وإن تركتَه لم يضرك". فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرَ بن الخطاب، فأذَّن فى الناس بالرحيل، فضجَّ الناسُ من ذلك، وقالوا: نرحل ولم يُفتح علينا الطائف؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فاغدُوا على القتال" فَغَدَوْا فأصابت المسلمين جراحات، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّا قَافِلُونَ غداً إن شاء اللهُ"، فسُرُّوا بذلك وأذعنوا، وجعلوا يرحلون، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يضحك" في هذه القصة نفس الهدي الشريف الذي به ازدهرت حضارة المسلمين في القرون الأولى من تاريخهم.

[1] من كتاب "زاد المعاد في هدي خير العباد"

و لم يبخس صلى الله عليه و سلم حتى اليهود حقّهم في الرأي لما فتح خيبر، و كان في رأيهم خير لهم و للمسلمين فقبله ﷺ . و جاء في قصتهم قول ابن القيم رحمه الله " وأرادَ صلى الله عليه و سلم أن يُجليهم مِن خيبر، فقالوا: **"دعنا نكون فى هذه الأرض نُصلِحُهَا ونقومُ عليها، فنحنُ أعلمُ بها منكم"** ولم يكن لِرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لأصحابه غِلمان يكفونهم مؤنتها، فدفعها إليهم على أن لِرسُولِ الله صلى الله عليه وسلم الشَّطْرَ مِنْ كُلِّ شيءٍ يخرُج منها مِنْ ثَمَرٍ أَوْ زَرْعٍ، وَلَهُمُ الشَّطْرُ، وعَلَى أَنْ يُقِرَّهُم فِيهَا مَا شَاء." لو شئنا تعداد الأمثال في هذا الباب لما كفتها المجلدات. و نكتفي بهذا القدر منها لننظر في ثمراتها.

11. ثمرات هديه ﷺ في أنماط التفكير السليم

أولى العلامة **محمد عبد الحي الكتاني**[1] رحمه الله، اهتماما كبيرا بهذا الجانب الخطير في سيرته ﷺ ، و لكن مع الأسف الشديد، من دون وضع لا تصوّر و لا خطط عملية للعودة بالتدريس و بالبحث العلمي و بالاختبارات و الامتحانات إلى منهاجه ﷺ الذي ساد طيلة القرون الأربعة الأولى من تاريخ المسلمين، و الذي أعطى ذلك الإشعاع الزاهر في حياة الأمة، ثم تلاه مع الأسف الشديد منذ ألف سنة و حتى اليوم منهج على غير هديه ﷺ ، فأصبحنا في ذيل الأمم من حيث المدنية من بعد ما كانت الأمة الإسلامية و لقرون هي العالم الأول.

فقال العلامة محمد عبد الحي الكتاني رحمه الله : " إن الذين اعتنوا بتدوين المدنية العربية و التراتيب الإدارية لخلفاء المملكة الإسلامية وذكروا ما كان لأمراء الإسلام على عهد الدولة الأموية والخلافة العباسية من الرتب والوظائف و العمالات والعمال **أهملوا ما كان من ذلك على عهد رسول الله** ﷺ ، مع أنه عليه السلام حيث كان يشغل منصب النبوة الديني علي **قاعدة جمع دينه القويم بين سياسة الدين والدنيا جمعا مزج بين السلطتين** بحيث كادا أن يدخلا تحت مسمى واحد وهو الدين وكذلك وقع" [2]

فبتربيته ﷺ للصحابة رضوان الله عليهم على التفكير و ليس على مجرد الحفظ الجاف، تخرّج من مدرسته ﷺ **رجال دولة** كانوا مجرد تجار أو رعاة إبل، فخدموا الأمة الوليدة في عهده ثم خدموها لأجيال طويلة من بعد وفاته. و بتلك المنهجية في التربية حوّل ﷺ أعراب الجزيرة العربية الذين لم يكن لهم ذكر بين الأمم من حولهم، من البداوة المتوحشة إلى **أمراء** و **قضاة** و **قادة حرب** و **دبلوماسيين** و **سفراء** و **وزراء**، برهنوا في الواقع المشرق على كفاءاتهم فحافظوا على الدولة التي بناها صلى الله عليه و سلم بجهاده كحصن حصين للإسلام، بل وسّعوها في زمن قياسي إلى أبعد الأمصار في حضارات عريقة كحضارة الفرس و الروم. و ما كان ليتم هذا بالمنهجية المتخلفة في التكوين السائدة اليوم و التي كانت هي نفسها التي تسببت في انحطاط العقل المسلم منذ ألف سنة من بعد ما شع نوره على الأرض بتربية سارت على هديه ﷺ مدة أربعة قورون من بعده.

فجاء في نفس الكتاب للعلامة الكتاني قوله : "يجد المتتبع أن وظائف حاشية الملك اليوم الخاصة بشخصه من صاحب الوضوء والفراش والنعال و الاصطبل والحاجب وغير ذلك **كانت موجودة عند النبي** ﷺ . ولعل عن ذلك العهد أخذها ملوك الإسلام. كما إذا التفت إلى ما يتعلق بالمراتب الإدارية من **وزارة** بأنواعها **وكتابة** بأنواعها **والرسائل والإقطاعات وكتابة العهود والصلح والرسل والترجمان وكتاب الجيش والقضاة وصاحب المظالم وفارض النفقات وفارض المواريث وصاحب العسس** في المدينة **والسجان والعيون والجواسيس والمارستان والمدارس والزوايا ونصب الأوصياء والممرضات والجراحين والصيارفة وصاحب بيت المال ومتولي خراج الأرض وقاسم الأرض وصانع المنجنيقات والرامي بها وصاحب الدبابات وحافر الخنادق والصواغين وأنواع المتاجر والصناعات والحرف** تجد أن مدته عليه السلام مع قصرها لم تخل عن أعمال هذه الوظائف وإدارة هذه العمالات وتجد أنها **كانت مسندة للأكفاء من أصحابه وأعوانه** عليه السلام"[3] و الذي وجب إضافته لهذا النص هو

---

[1] صحيح أنه هو الذي كانت له زلة العالم السياسية، لما نفت الحماية الفرنسية الملك محمد الخامس رحمه الله ونصبت ابن عمه محمد بن عرفة ملكا على المغرب ، فكان الشيخ واحدا ممن بايعوا ابن عرفة. و لكن هذا لا يمنع من النظر في فكره و الاستفادة منه

[2] في كتابه: *"نظام الحكومة النبوية"* و المسمى "التراتيب الإدارية" المجلد 1 الصفحة 11

[3] نفس المصدر: المجلد 1 الصفحة 11

أن "**الأكفاء من أصحابه وأعوانه**" تخرّجوا من مدرستهﷺ هم الذين كانوا مجرد بدو في قبائل صحراوية بدائية، فما كان لهم بتلك المهام لا علم و لا دراية.

و من ثمرات هديه صلى الله عليه و سلم في التربية على التفكير قيام الصديق رضي الله عنه **بحروب الردّة** في بداية خلافته و التي من دونها كانت قد هُدّمت و انهارت الدولة التي بناها رسول الله صلى الله عليه و سلم بالجهاد المتواصل، و لتحوّل المسلمون من أمّة يشع نورها على الدوام في كل الأرض إلى مجرد طائفة تهرَب بدينها كفِئة أهل الكهف إلى جبل من جبال الجزيرة على غرار طائفة الدروز و غيرها بجبل لبنان، و لعادت الوثنية لتسيطر على الجزيرة العربية و على الأرض من جديد، و لما انتشر الإسلام و لما كنّا مسلمين اليوم. فتمتُّعنا اليوم بنعمة الإسلام هي بفضل الله من ثمار حروب الردة. و تلك الحروب كانت من بنات هديه صلى الله عليه و سلم في تربية الصحابة على عمق التفكير و الإبداع و التخطيط و المبادرة و التنفيذ لعلاج المشاكل الطارئة و غيرها من دون الاقتصار على الالتفات إلى الوراء بقصد البحث عن حلول من تجارب الماضي، فلا بد من الإبداع و الابتكار عند الحاجة.

و من أجل ذلك لم يكن من برنامجه صلى الله عليه و سلم في تكوين تلك القيادات الباهرة لاحفظ كل الحديث و لا حفظ كل القرآن و لا الإحاطة بكل الفقه. فكانت لتلك القيادات المتخرّجة من مدرسته صلى الله عليه و سلم كفايات في **حسن فقه الواقع** أولا و قبل كل شيء، ثم حسن التسيير و التدبير من دون شرط الحفظ الشامل و المسبق لكل الحديث و لا لكل القرآن الكريم. التربية الشريفة للصحابة كانت مركزة بالأساس على حسن استعمال نعمة العقل بالتفكير و باستثمار **المعلومة في خدمة الفكرة**، و بالبحث عن المعلومة حيث كانت عند الحاجة حين لا توجد بالذاكرة. بمعنى آخر و واضح، حفظ كم هائل من المعلومات لم يكن شرطا في هديه صلى الله عليه و سلم للقيام بمهام القيادة[1]. بل كان من بين الصحابة من كان أحفظ من غيرهم للحديث و للقرآن الكريم من دون أن يستحقّوا منه صلى الله عليه و سلم التّكليف بالمهام القيادية.

و على هديه ﷺ دائما في استعمال نعمة العقل و استثمارها في حل المشاكل الطارئة و المستقبلية، فكلّ من الصديق و عمر و عثمان رضوان الله عليهم جميعا، ساهَم بقدر كبير من تفكيره في **الحفاظ على كتاب الله** لِما رأى كل منهم من المخاطر التي تحدق به. فخلّفوا لنا بإذن الله و توفيق منه كتابه العزيز كما أنزله على نبيه صلى الله عليه و سلم نقيا صافيا و خاليا من أي تحريف. و كذلك موضوع تعليق عمر رضي الله عنه حد السرقة في عام الرمادة، و إن شكّكت فيه العقول التي تربّت على كراهية التفكير، لما في ذلك التعليق من فقه الموازنة من حيث أن حفظ النفس من الهلاك بالسرقة عند الضرورة مقدّم على حفظ المال بحد السرقة. و العقول التي تحوّلت إلى مجرد أقراص صلبة مع برنامج للبحث حمّلت فقه الموازنة في الذاكرة للامتحان و تستنسخه على ورقة الامتحان كما حملته من أجل النقطة، و حين تجد حدثا استُعمل و استثمر فيه فقه الموازنة يطيش فيها القرص الصلب استنكارا.

و من ثمرات هديه ﷺ في التفكير و الإبداع عند التابعين و تابع التابعين كل تلك العلوم التي تُحمّل اليوم في الذاكرة من أجل الامتحانات، و التي ابتكرها ذلك السلف الصالح و المُصلح فقط لتخدم مشكلات عصره. فلمواجهة الوضّاعين للحديث مثلا، كان هناك الخيار بين حلين للمشكلة، أحدهما على غير هديه ﷺ و أساسه الانفعال و قطع الرؤوس التي ما تلبث أن تنبت رؤوس أخرى تخلفها، و حل علمي و عملي من هديه صلى الله عليه و سلم أساسه التفكير و الابتكار و الإبداع من أجل وضع حد للكذب على النبي صلى الله عليه و سلم إلى قيام الساعة. فابتكروا علم الرجال و علم الجرح و التعديل و حققو به السنة الصحيحة إلى يوم الدين، فظل هذان العلمان و ثمرتهما سدّا منيعا و إلى قيام الساعة ضد وضّاعي الحديث في كل زمان. و الأمثلة على بناء و تطوير دواليب الدولة و على بناء المدنية و العمران و سروح العلم و المعرفة الفقهية و الكونية من هديه صلى الله عليه و سلم في القرون الأولى من

[1] أما بمقاييس تقييم المؤهلات المتبعة اليوم بتعليمنا فما كان الخلفاء الراشدون ليحكموا و ليُسيروا الأمة لأنهم لعدم إلمامهم بكل السنة النبوية كان قدرهم أن يكونوا من بين الراسبين في امتحانات اليوم. أما بمقاييسهﷺ فالعبرة كانت كما يجب بحسن فقه الواقع قبل كل شيء ثم بفقه السنة و ليس بشرط حفظها كاملة. و جاء في ذلك من سنن ابن ماجه عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَّغَهَا فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ**"

تاريخ المسلمين لا تُحصى. فما هي الدروس الواجب استخلاصها من هديه ﷺ لتعليم اليوم حتى تعود الأمة لمجدها الأول؟

12. الحلول العملية للخروج من أزمة الفكر بالتعليم العالي

و حتى لا نقف عند ما دأب عليه من كتبوا في هذا الموضوع من قبيل **"يجب فعل كذا و كذا"** من دون تحديد **"كيف"** نتوكل على الله و نهتدي بقوله تعالى في الآية 11 من سروة الرعد: {**إن الله لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**} و نقول بتوفيق منه بأن التغيير المنشود على هديه ﷺ أساسه إصلاح التعليم **ابتداء و انتهاء**. فواقع كل بلاد بإيجابياته و سلبياته هو **في الغالب** نتاج نوعية أداء منظومته التعليمية من الابتدائي إلى العالي، لأنه بكل بساطة الساسة فيها و نخبها و الحكّام و القادة هم نتاج تعليمها.

أ) تحديد نموذج الإنسان المنشود بناؤه

ركن أي إصلاح للمنظومة التعليمية يكمن بالأساس في البدء بتصوّر و تحديد الرؤية الواضحة لمعالم الإنسان الذي نريده لمجتمع المستقبل. و هناك نموذجان لا ثالث لهما في نوعية الإنسان الذي يبنيه التعليم:

1) **النموذج الناجح** : هو ذلك الإنسان الذي كالمهندس **يتلذذ برفع التحديات** فيضع لنفسه و طيلة حياته أهدافا متواترة يحققها و **ينتشي بالإنجازات** و لا يرضى بضعف أداء مهامّه و مشاريعه في حياته الخاصة و العامة و لا يخشى المشاكل بل يعتبرها عادية و يتوقعها و كلما اعترضته يقول في نفسه **"أنا لها"** فيتصدى لها بالنظر في الواقع بكل موضوعية و روّية ثم يستوعب معطيات الأمور فيفكّر و يقدّر و يدرس و يبدع و يبتكر الحلول المناسبة ثم يخطط و يتوكل على الله ليبادر بالتنفيذ من دون تسويف. و يتوقع احتمال الفشل فيعتبره إذا ما حصل مدرسة يستفيد منها فلا ييأس بل يعيد الكرة على الفور مغيّرا طريقة العمل على ضوء أسباب فشله في المحاولة أو المحاولات السابقة. **لا يتصور إلا النجاح و بفعل ما يسمى بـ "قانون الجذب الفكري"[1] يعمل بحسب تصوره فلا ينجذب إليه إلا النجاح و التفوق**. مثل هذا الإنسان أينما وُجد لا يأتي إلا بخير لا في حياته الخاصة و لا في حياته العامة.
2) **النموذج الفاشل**: هو ذلك الإنسان الذي، بعد مروره من كل مراحل التعليم أو بعضها، تجد عقله قد اختُزل في **قرص صلب مليء بالمعلومات مع محرك للبحث** بسبب الإفراط في الحفظ من دون ما يكفي من فرص للتفكير فتشل عنده القدرة على استعمال و استثمار تلك المعلومات و على ابتكار غيرها و إبداع برامج جديدة لحل المشاكل التي تعترضه في حياته الخاصة و العامة، فيركن إلى السّكون كالجثة المحنطة ينتظر من دون لا ملل و لا كلل من يأخذ بيده فيُخرجه من كَفَنه ليعيده إلى الحياة. بسبب شلل فكره تمر من بين يديه فرص وفيرة للخروج من مأزقه و لكن لا يراها لأنه لا يبحث عنها أصلا. **فلا يتصور إلا الفشل، و بفعل نفس قانون الجذب يعمل بحسب تصوّره فلا ينجذب إليه إلا الفشل**. و حتى ما إذا رأى الفرص المتاحة لخروجه من مأزقه تجده يبرع في تخيّل كل المعوقات المُمكنة التي يتصورّ أنها ستحول بينه و بينها، فلا يبادر و لا يحاول بالبدء في الدراسة و التخطيط ثم العمل، لأنه يتصوّر بمجرد خياله أنه قد حاول و قد فشل.

و **نمط الامتحانات بالأساس** في كل مراحل التعليم ثم نمط التدريس و نمط إعداد العروض و البحوث هي التي تحدّد تلقائيا النموذج الناجح أو النموذج الفاشل لإنسان المستقبل. و نمط الامتحانات الحاسم في تحديد النموذج المنشود، هو بالابتدائي و الإعدادي و الثانوي بيد الوزارة حصرا، و ليس للأساتذة دخل فيه، فيبقى الإصلاح في هذه المستويات بيد الوزارة.

---

[1] ينص **قانون الجذب الفكري** على أن مجريات حياتنا اليومية أو ما توصلنا إليه إلى الآن هو ناتج لأفكارنا في الماضي، وأن أفكارنا الحالية هي التي تصنع مستقبلنا،
بالأحرى يقول القانون أن **قوة أفكار المرء** لها خاصية جذب كبيرة جدا في اتجاهين :
1) فكلما فكر في أشياء أو مواقف سلبية اجتذبها إليه بفعل تصرفاته الموافقة تلقائيا لما يفكر فيه
2) وكلما فكر أو حلم أو تمنى وتخيل كل شيء جميل وجيد ورائع يريد أن يصبح عليه أو يقتنيه في حياته فإن قوة هذه الأفكار الصادرة من عقله تنتج تصرفات تلقائية موافقة لها فيجتذب اليه كل ما يتمناه.
فتصرفات المرء المطابقة لما يفكر فيه إيجابا أو سلبا هي التي تجذب ما **تركز فكره عليه** من نجاح أو فشل.

أما في التعليم العالي بكل أشكاله و ألوانه **فالإصلاح بيد الأساتذة حصرا**، لأن إعداد الامتحانات الحاسمة في تحديد الرؤية لنموذج الإنسان المنشود الذي نريد **هو شأنهم الخاص**، فلا يتدخل فيه غيرهم و من تمّ يتحملون مسؤوليتين:

1) مسؤولية تحديد رؤية بناء الإنسان المنشود الذي نريده لمستقبل البلاد و العباد لأن النخب المتخرجة من التعليم العالي هي في الغالب **قاطرة** المجتمع.
2) و مسؤولية جبر و إصلاح ضعف و تعثرات نمط التعليم بالأسلاك الدنيا.

ب) أثر نمط الامتحانات في تحديد نوعية بناء الإنسان المنشود

كل همّ الطالب منصبٌّ دائما على النجاح في الامتحان و نيل الشهادات. و عليه، فنمط الامتحان يوجهه في نمط التحصيل :

- إما مجرد حفظ من دون فقه
- أو استيعاب للمعلومات بفقه من أجل انتقاء ما يصلح منها ثم توظيفها بذكاء في الوقت و المقام المناسب

بذلك يحددّ نمط الامتحان نوعية و جودة التّكوين و من تمّ نوعيّة نخب المستقبل.

و هناك نمطان للامتحانات و لكل منها كنتيجة و كثمرة حلوة أو مرة نوع من نخب المستقبل:

1) **النمط الأول الذي يُعِدّ النخب الفاشلة**:

و يَكْمن في الامتحانات ذات الأسئلة من قبيل **"هات ما عندك"** في الشفوي، و الأسئلة التي تتطلب من الطالب في الكتابي، مجرد استنساخ ما في مذكرات الدروس و الموجودة في المحفظات، و لذلك يُلزم الطالب في الامتحان بالتخلّص من كل ما من شأنه أن يصل به إلى ما في المذكرات، لأن الغش هنا يسير و جد محتمل، فتُشدَّد الرقابة و الحراسة، لأن العلم المطلوب استنساخه هو موجود في المحفظة، و كان المطلوب من الطالب تحميله من الأوراق إلى الذاكرة قبل ولوج قاعة الامتحان، ثم استنساخه على أوراق الاختبار. بهذا المعنى المحفظة التي تحتوي على مذكرات الدروس هي مسبقا **ناجحة** و **تستحق نيل الشهادة** بدلا من صاحبها، اللهم إلا تحوّل عقل صاحبها إلى محفظة. و مثل هذه الشهادة لن تكون لها مصداقية لأن حاملها لا يغني البلاد و العباد عن الاستنجاد بمن تكون بالخارج لحل مشاكلنا. و يصبح عالة على المجتمع، فيطلب الوظيفة **لمجرد الاسترزاق**، فحتى في حال الاستغناء عن خدماته فيها يقبل بها و لا حرج. المهم عنده ليس هو الإنتاج و لكن مجرد كسب الرزق الذي من أجله فقط كان يجبر على يتحمل مشاق الحفظ من دون الحاجة للتفكير.

و مزية هذا النمط من الامتحانات بالنسبة للأستاذ، و لا سيما حين يكثر عدد الطلبة، هو يُسْر التصحيح. فحتى الأولاد و الزوجة في المنزل يمْكنهم إعانته على التصحيح لأن الأمر يتعلق بمجرد مطابقة الأجوبة للجواب النموذجي، و كل خروج عنه زيادةً أو نقصانا ينقص من النقطة النهائية.

2) **النمط الثاني الذي يعدّ النخب الناجحة**:

و يكْمن في أسئلة تطرح **إشكالات و مسائل و معضلات**، كما هو الحال في مادة الرياضيات و الفيزياء، فتستدعي الذكاء لحلّها حتى مع توفّر مذكرة الدروس بين يدي الطالب. و لا مجال للغش في ذلك بالرغم من توفر الطالب للدروس بين يديه، اللهم أن ينقل الفاشل عن الطالب الذكي، لأن مجرد توفّر المعلومات في المذكرات لا ينفع مع الأسئلة التي، على غرار المسائل الرياضية، تستدعي عمق النظر و حسن التفكير و التقدير و التخطيط و حسن استعمال و استثمار المعلومات المناسبة لكي يخْلُص الطالب للجواب السديد.

و لكن في المقابل فلهذا النمط من الامتحانات ثمن بالنسبة للأستاذ. التصحيح فيه عسير و لا يمكن لغيره أن يقوم مقامه فيه، فيستدعي منه حضور البديهة في كل ورقة لأن الأمر يتعلق **باختبار ذكاء و فقه الطالب و ليس ذاكرته.** و هذا النمط من الامتحانات يستحق من الأساتذة دفع هذا الثمن لأن مصير البلاد متعلق به.

و فقط بهذا النمط من الامتحانات تكون للشواهد مصداقية، و يكون لحاملها الأهلية الكاملة و المصداقية المطلوبة لإغناء البلاد و العباد عن الاستنجاد بمن تخرّج من جامعات الخارج لحل مشاكلنا. و تمكّن الطالب كذلك و قبل كل شيء، من النجاح في كل مناحي حياته الخاصة. فمثل هذا الطالب يكون صاحب المبادرات و قد يفشل و لكنه سرعان ما ينهض ليُحوّل فشله إلى نجاح، فلا يكون أبدا عالة على المجتمع فلا يطلب وظيفة من أجل مجرد الاسترزاق، بل لا يرضى و لا يستقر إلا في العمل الذي يجد فيه نفسه نافعا و مُنفعا.

و النمط الإيجابي من الامتحانات يستدعي حتما نمطا موازيا في إلقاء الدروس و نمطا موازيا بالنسبة للطالب في إعداد العروض و البحوث، و احتكاكه **بعلم الاجتماع** الذي يقوم به الأساتذة

نمط إلقاء الدروس:

كي يتمكن الطالب من النجاح في النمط الثاني من الامتحانات، على الأستاذ أن يعوّده على استعمال ذكائه بالبداية في إلقاء دروسه بطرح الأسئلة و الإشكالات التي تستدعي التفكير و تستنفر فيه حب الاستطلاع، ثم يعرض مواد درسه كجواب لها[1].

و لا توجد مادة غير قابلة لمثل هذا النمط من الإلقاء و إلاّ فما هي إلا مجرد ترف فكري، فلا فائدة ترجى منها. و المواد المفيدة هي التي تعالج الإشكالات و تجيب على أسئلة و تستحضر الفكر و تستفز العقل و تستنفر الفضول، و كل مواد الدراسات الإسلامية بالخصوص هي من هذا القبيل.

و كي تكون الفائدة مكتملة ينهي الأستاذ الدرس بطرح إشكالات جديدة يخرج الطالب من الحصة مهووسا بالتفكير في حلها. و الأهم من كل هذا هو تدريب الطلبة في مجموعات صغيرة و تحت إشراف الأستاذ أو من يعينه من الطلبة النجباء من الفصول المتقدمة، لطرح إشكالات حقيقية أو افتراضية كما هو الحال بالنسبة لعلم الفرائض من أجل التمرس على حلّها، لأن الامتحانات تكون بالضبط و في كل باقي المواد على شكل مسائل للحل على ضوء دروس و قواعد و ضوابط المادة العلمية.

هكذا يوم الاختبار بالنمط الثاني من الامتحانات، يكون للطالب الاستعداد الفكري اللازم لاجتيازه بنجاح، و حين تحميل المعلومات من مذكراته إلى ذاكرته يتعامل معها كمجرد وسائل و أدوات تُستعمل و تستثمر بذكاء في حل الإشكالات و المسائل المتوقعة و غير المتوقعة في الامتحان، و ليس كمعلومات تخزّن و تستنسخ كما هي على ورقة الامتحان.

نمط إعداد العروض و البحوث:

فمثل المحاضرة المفتوحة على عموم الناس و التي لا يكلف الإنسان نفسه عناء حضورها و البقاء للاستماع لها حتى النهاية إلا إذا كانت مهمة، فالمطلوب من الطالب أن ينطلق في كل عرض و كل بحث من طرح إشكال أو قضية أو مسألة مهمة أو جديدة تستحق البحث عن الإجابة عليها لكونها تتعلق بمشاكل العصر الحاضر و المستقبل حتى حين تكون لها علاقة بتراث السلف. و حتى تكون مركزة على الأهم من دون تفاصيل زائدة يجب تحديد حجمها الزمني إذا كانت عرضا و كمّها الورقي إذا كانت بحثا. أما الأمور المحسوم فيها و التي لا فائدة منها لا حاضرا و لا مستقبلا فيجب أن تكون ممنوعة لأنها من قبيل العبث و ضياع الوقت. ذلك لأن لمجتمعاتنا من الهموم و المشاكل ما يغنيها عن ترف الاشتغال و الانشغال بما لا يفيد لا في الحاضر و لا في المستقبل، و الذي أصبح معه مجرد جمع نفاياتنا و معالجتها و نقلنا الحضري و توزيع الماء و الكهرباء موكولة كلها بالتفويض للأجانب الذين رأس مالهم هو فقط الـــــــــفـــــــــكـــــــــر لا غير، فحتى التّموين تأخذه من مصارفنا. فأزمتنا **أزمة فكر مبدع و مبتكر** و ليست أبدا أزمة معلومات تحوّل العقول من فرط تحميلها في الذاكرة إلى أقراص صلبة عاجزة عن التفكير و الابتكار و حسن التدبير و حسن التسيير.

[1] القرآن الكريم مليء بالأسئلة المستنفرة للعقل و التفكير، و كذلك كان نهجه صلى الله عليه و سلم في تربية أصحابه، فكان كثير ما يبدأ حديثه بقوله "أتدرون كذا و كذا؟ " فيجيب الصحابة رضوان الله عليهم "الله و رسوله أعلم" ثم يلقون السمع لتلقي الحديث، كما كان يقول "هل أعلمكم كذا و كذا؟ فيكون الجواب "بلى يا رسول الله، فيلقون السمع لتحمل الحديث.

و هكذا فكل بحث أو أطروحة تعالج موضوعا لا فائدة ترجى منه لا حاضرا و لا مستقبلا فلا قيمة لها في حالنا الحاضر. و قد يتعجب صاحبها لماذا يجد نفسه على هامش نخب البلاد بالعربات المقطورة مع عامة الناس و ليس في القاطرة حيث النخب القيادية. و كل المسالك التي تخرّج مثل هؤلاء الشباب الحامل لشهادات نتيجتها تهميش حاملها في مجتمعه، من واجبها مراجعة نفسها، و لا يشرفها أن لا تفكر في إعادة النظر في أنماط امتحاناتها و في أنماط تدريسها و في مواضيع البحوث التي تشرف عليها.

و كما سبق، و حتى تكون البحوث مفيدة، وجب **منع كل معلومة زائدة** باحتساب نقط الجزاء كعقوبة عليها، و كذلك كل تفصيل لا لزوم له في البحث و العرض بالنظر للإشكال المطروح، يجب اعتباره خروجا عن الموضوع و يستحق نفس العقوبة، حتى نفصل و نحسم مع **العقلية التقليدية** التي تريد أن من يختزن أوفر حظ من المعلومات في ذاكرته هو اللبيب و الذكي في حين أنه من حيث الذكاء فهو الفاشل بامتياز **إلّم يكن يحسن استعمال و استثمار تلك المعلومات بالقدر المناسب و في المقام المناسب**.

و بمختلف هذه الأنماط في التّكوين بالعلوم الإنسانية من التعليم العالي ليس من الضروري أن يتخرّج الطالب متخصّصا في مواد مسلكه ليعمل حصرا في مجال تخصّصه. فلا يكون من تخرّج من شعبة الاقتصاد مثلا بالضرورة رجل اقتصاد أو موظفا بشركة أو رجل أعمال، و لا من تخرّج من مسلك الدراسات الإسلامية أستاذا أو فقيها أو مجتهدا. فهذه المهام هي من **فروض الكفاية** و كل تضخّم فيها يصبح مخلا بجدوى مستقبل طلبة الشعبة و بالتركيبة الاجتماعية. و لكن بتلك الأنماط الذكية من التكوين يتخرّج كل طالب من أي مسلك من شُعب العلوم الإنسانية مسلحا بمنهجية سلوكية علمية و منطقية و **قيادية** في حياته الخاصة و في حياته العامة، و أينما وجد تجده ناجحا. فلِما لا يكون بتلك الأنماط من التكوين المتخرّج من شُعبة الدراسات الإسلامية مثلا، رجل أعمال ناجحا أو رجل سياسة أو رجل دولة صالحا مُصلحا ؟

فبهذا النهج فقط من التّكوين يُمكن للأمة أن تنتج النماذج الناجحة من كل مسالك التعليم العالي من دون استثناء، فتحل مشاكلها بيدها و تبني حضارتها و مدنياتها من جديد و من منطلقات عقيدتها و قيمها التي أرادها الله نورا تمشي به كل الإنسانية، فتستعيد مجدها و مكانتها بين الأمم، بل تكون به في مقدمة الأمم، من حيث تصبح هي النموذج في الخير و العدل و الحق و ليس في الشر و الظلم و الباطل، كما دأبت عليه غيرها من الأمم و الشعوب "المتقدمة" في غياب القيم الإسلامية.

ج) نوعية البحث العلمي الاجتماعي

بقي شيء أهم من كل ما سبق. التعليم العالي، من دون بحث علمي عملي ميداني موضوعي من طرف أساتذة المسلك أو تحت إشرافهم، يبحث في كل مناحي واقع المجتمع و ينتج بانتظام معرفة مُحيّنة، لا يكون إلا مجرد امتداد للتعليم الثانوي. فالأستاذ بالتعليم العالي **هو قبل كل شيء باحث** في الواقع المعيش و ليس حصرا فيما في بطون الكتب القديمة و الحديثة، و هو **منتج للمعرفة المتجددة** التي يحتاجها قطاع من قطاعات المجتمع. و التدريس بالنسبة لكل أستاذ جامعي ما هو إلا المهمة الثانية. و كل أستاذ يقتصر عمله في كلية أو معهد عالى على مجرد التدريس فما هو إلا مجرد أستاذ بالتعليم الثانوي.

فكل العلوم الحيّة وُلدت و لا زالت تولد و تنمو باستمرار في رحاب الجامعات بالبلاد المتقدمة بفضل مبادرات أساتذتها الباحثين. و لا زالت تولد حينا بعد حين في تلك الجامعات علوم و معارف جديدة و متجددة بتجدد الظواهر الطبيعية و الاجتماعية في المجتمعات المحلية و في باقي العالم. هكذا كان مولد **الاستشراق الأكاديمي** مثلا، بمبادرات من أساتذة باحثين بالغرب أولا ثم دعمته الجهات الرسمية فيما بعد. و تلاها بمبادرات من أساتذة مستشرقين جدد تخصّصٌ في الحركات الإسلامية، أصبح له بتلك الجامعات كراسي تحت عنوان "*islamologie*" يُرجع إلى أصحابها و يراجَعون في كل كبيرة و صغيرة تخص الإسلام و العالم الإسلامي و لا يُردّ لهم رأي و لا يُشك فيه، و يتخرّج على أيديهم حتى متخصّصون مسلمون في الدين الإسلامي كثيرا ما يفتون فيه بمرجعيات

استشراقية. كل ذلك في غياب **البحث العلمي العملي الذي يعالج قضايا العصر في كل مناحي الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية** في مسالك الدراسات الإسلامية بجامعاتنا.

و من دون ما يكتبه الغرب عن نفسه و نستنسخه و نتلقّفه كحقائق لا شك فيها، أين **في مقابل الاستشراق** بالجامعات الغربية، علم **"الاستغراب"** بجامعاتنا من نتاج أيدينا و بعقولنا و فكرنا و بخلفياتنا و من منطلقاتنا ؟ فهناك بمسلك الدراسات الإسلامية مادتي **تاريخ الأديان** و **مقارنة الأديان**. و كل ما يُدرس فيها يكون **في الغالب** مترجماً و مستنسخا من كتب الغرب نفسه و من أبحاثه. فتُدرّس تلك المادتين في غياب مراكز بحث بجامعاتنا متخصّصة في دراسة حال دين اليهود[1] اليوم و دين النصارى و في باقي الملل و النحل من منطلقاتنا و من خلفياتنا الثقافية و العلمية. ذلك في الحين الذي لا زالت المذاهب الكنسية تتناسل كالفطر و تعرف حتى اليوم تطورات مستمرة و لا ندرسها و لا نبحث فيها بأنفسنا، و نقتصر في تدريس تاريخ النصرانية على منشئها بعد المسيح عليه السلام.

و في الوقت الذي يتفرد فيه الغرب بدرس الحركات الإسلامية دراسة ميدانية و يقدمها على أنها "علمية"، عرفت الكنيسة الكاثوليكية أزمات و مشاكل في موطنها، و لا نعرف عنها شيئا سوى ما تنقله الصحف، في الحين الذي نسمع فيه أنها تهجم علينا بحملات تنصيرية بعقر أراضينا، و من دون مبادرة من أساتذتنا للبحث الميداني و الموضوعي في هذه الظاهرة. و حين يتناولونها في محاضراتهم و في كتاباتهم يكونون كمن يتلمّس طريقه في نفق مظلم و لا يعرفون عنها أكثر مما يعرفه السامع لتلك المحاضرات و لا القارئ لتلك الكتابات من عموم الناس. و في غياب تلك البحوث الميدانية كل ما يُقال في ظاهرة التنصير يبقى مجرد تكهنات و تصوّرات عن واقع لا يُنكر وجوده و لكن لا نعرف لا حجمه الحقيقي و لا مدى خطره و لا أساليب نشاطاته و لا المناطق و لا الفئات المستهدفة و لا مواصفاتها. و في غياب كل تلك المعطيات العلمية يتعذر التصدي للظاهرة بالحلول الناجعة.

و نفس الشيء بالنسبة لما **نسمع عنه** من دخول الناس في دين الله أفواجا بالغرب و بغيره. و لا زلنا نسمع على أنه من بعد أحداث إحدى عشر سبتمبر بنيويورك دخل الآلاف من الأمريكيين في الإسلام. ففي غياب معطيات علمية ميدانية من جامعاتنا في هذا المجال تبقى تلك الأخبار مجرد شائعات قابلة للتصديق و للتكذيب معا فلا يعول عليها، و تبقى معها – و هذا هو الأهم - جهود الدعوة إلى الله من دون نور تستنير به و تسدد به أساليبها و ترد به الشبهات التي تحاك ضد المسلمين و تنفر من الإسلام.

و حتى لا نبخس الناس حقهم، فالبحث عندنا أصبح نشيطا في بعض المسالك من العلوم الإنسانية و الاجتماعية، حيث نجد أساتذة باحثين متخصصين في الشؤون السياسية يتابعون عن كثب الواقع السياسي ببلادنا و يكتبون فيه و يُستشارون فيه، و آخرون يبحثون في مختلف الميادين الفنية، كالأدب الشعبي أو الفن الشعبي، فأصبحنا نسمع بأساتذة باحثين في **"فن العَيْطة"** مثلا، و آخر في فن السينما و المسرح و آخر في الطرب الأندلسي. لكن هناك في نفس الوقت **فراغ مهول** في **فقه واقع** الجريمة و ظاهرة التسوّل و ظاهرة أطفال الشوارع و التفكك الأسري و الأمّهات العازبات و المخدرات و التنصير و مشاكل العمران و النقل و زحمة حركة السير بالحواضر و الحوادث بالطرقات و التلوث البيئي و ضعف أداء قطاع التعليم و قطاع الصحة و قطاع العدل و الجماعات المحلية، و العزوف عن التصويت في الانتخابات، و غيرها مما لا حصر له تهتم بها الصحف و يغفل عنها البحث العلمي بجامعاتنا.

و أساتذة مسلك الدراسات الإسلامية و في إطار ما يصطلح عليه **بفقه الواقع**، هم في نظري، من بين الأحق باتخاذ المبادرة لملء هذا الفراغ المهول بأبحاث علمية موضوعية تصف الواقع كما هو و تحيّنه و تبني عليه نظريات علميّة كما هو الحال بالجامعات الغربية و غيرها، فيستنير بها الصحافي و الدارس و الباحث و السياسي و صاحب القرار و غيرهم، فيصبحون مراجع علمية و **خبراء** لهم مصداقية، فيستشارون و يؤخذ برأيهم فيها.

[1] فيما عدى الموسوعة **اليتيمة** عن اليهودية و الصهيونية لصاحبها عبد الوهاب المسيري رحمه الله، و التي بمبادرة منه كأستاذ جامعي باحث أنفق عليها من ماله الخاص علاوة على خمسة و عشرين سنة من عمره. فمن بكل مسالك الدراسات الإسلامية يتبناها فيحمل المشعل و يجعل منها منطلقا لكراسي للدراسات اليهودية فيطورها و يحيّنها ببحوث ميدانية علمية و جادة و ذات مصداقية، كما توجد كراسي بالغرب و غيره متخصصة في دراسة الإسلام و أهله تحت عنوان ***l'islamologie*** ؟؟

ج) أهمية فقه الواقع في الدراسات الإسلامية

الدراسات الإسلامية في غياب **فقه الواقع** تتحول إلى مجرد دراسات للتاريخ الإسلامي. و لما لا يكون فقه الواقع من صميم تلك الدراسات تصبح صلاحية الإسلام للعصر محل سؤال من غير وجه حق. ففقه الواقع هو الذي يؤيّد صلاحية الإسلام الدائمة. و في غيابه، يجد المتأمل في البرامج الإسلامية بالإذاعة و بالتلفزة مثلا، الأساتذة المتخصّصون في علوم الإسلام و العلماء و الوعاظ يتكلمون في الدين من موقع الدفاع عن الإسلام، و كأنه منفصل عن الواقع الذي أصبح معقّدا. في حين أن وجود **فقه الواقع** المحيّن من خلال نتائج و بحوث علم الاجتماع، كفيل بالدلالة الواضحة و البيّنة على صلاحية تعاليم الدين الحنيف في كل مكان و زمان. فبفقه الواقع يظهر دوام صلاحية تعاليم الدين الإسلامي من دون إصدار أية فتوى في أمر ما، بل فقط بالموازنة بين منافع الخمر و مضاره مثلا، حتى في بلاد غير المسلمين، حيث توجد و تنشر إحصائيات في الموضوع.

و فقط **بإحياء فقه الواقع** العلمي و الموضوعي بواسطة قواعد بحث **علم الاجتماع**، المتأمل حتى من غير المسلمين في منافع و مضار أية ظاهرة مخالفة لتعاليم الإسلام يقتنع بصواب هذا الدين من دون الحاجة لا لاجتهاد فيها و لا فتاوى جديدة. هكذا تصبح أحقيّة الحلال بيّنة و واضحة و أحقية الحرام بيّنة و جلية من خلال ما يظهره فقه الواقع من منافع و مضار و ليس فقط من خلال الوعظ و الإرشاد.

و إذا كانت **العلمانية السياسية** تعني فصل الدين عن الدولة، **ففصل الدراسات الإسلامية عن فقه الواقع** يحوّلها حتما إلى **علمانية علميّة** بمعنى إسلام لا علاقة له بواقع المجتمع. فالبحث العلمي في **واقع المسلمين** بمسلك الدراسات الإسلامية هو إذن ضرورة توجبها ضرورة **فقه الواقع** المسمى اليوم **بعلم الاجتماع** و الذي سبق إليه المسلمون كابن خلدون رحمه الله و غيره. فبفقه الواقع الذي كان بسيطا في القرون الأولى من تاريخ المسلمين كان للإمام الشافعي رحمه الله مثلا مذهبه في العراق. و من دون نقضه صار له مذهب آخر يناسب واقع مصر لما ارتحل إليها. إلا أن فقه الواقع اليوم يلزمه الاعتماد على وسائل البحث العصرية من قواعد البحث الميداني و علم الإحصاء.

و من أجل ألا يكون أساتذة و طلبة مسلك الدراسات الإسلامية منفصلين عن مجتمعهم، على كل أستاذ فيه أن يُخضع نفسه لدورات تكوينية و تدريبية عميقة و سريعة في علم الاجتماع من حيث البحث الميداني و في علم الإحصاء، و لا يتطلب منه اليوم ذلك التكوين في كل مادة إلا بضع عشرات من الساعات. من دون ذلك ستبقى العلوم الإسلامية منفصلة عن واقع الأمة و مجرد ترف فكري لأنها من دون سبيل ناجع لفقه قواعدها على أرض الواقع ببصيرة و رأي سديد.

و كل الظواهر الاجتماعية التي ذكرناها أعلاه هي **من صميم الدّين**، و تستحق البحث العلمي العصري حتى تُعالج وفق **فقه الواقع** و ليس وفق التصوّرات الذهنية التي يعج بها المخيال الشعبي و الصّحفي. ففي هذه المسائل لا نحتاج إلى مقالات صحفيّة و إنما إلى دراسات علمية موضوعية و محيّنة من مراكز البحث بالجامعات و منشورة بانتظام في دوريات و مجلات علمية، فتكون مرجعا للدارسين و للصّحفيين و للسياسيين و لأصحاب القرار. و حينها سيستحق كل أستاذ باحث أن يكون له مكتب أو مكاتب خاصة به بالكلية كمركز بحث مجهز بكل ما يلزم لذلك من تجهيزات و من أعوان.

و الأحق بكل هذه الدراسات اليوم و من خلال قواعد و ضوابط **علم الاجتماع** أي **فقه الواقع**، هم أساتذة مسلك الدراسات الإسلامية، كما كان عليه حال السلف لصالح و المُصلح. و **يكفي أن تظهر النتائج ليأتي التمويل**، لأنه حتى اليوم البحث إما غير موجود كليّا و إما هو غير ذي مصداقية من حيث لا يروم هموم الدولة فلا تستحق بها تمويلها. ففي نظري المتواضع على الأساتذة اتخاذ المبادرة بالشروع في البحث بعقد شراكات مع القطاعات المعنية، و حين تظهر النتائج ليّ اليقين بأن الدعم الرسمي سيتبع حتما.

أثر البحث في فقه الواقع على نوعية تكوين الطلبة

و علاوة على ما سبق من نمط الامتحانات و إلقاء الدروس و إعداد العروض و البحوث، ففي احتكاك الطلبة بهذه الدراسات و البحوث من فقه الواقع و الاشتغال عليها مع أساتذتهم أهمية تربيوية و تكوينية للإنسان المنشود بناؤه. فيها تدريبات عملية على نمط التعامل السليم مع المشاكل التي ستعترضهم باستمرار في حياتهم الخاصة و العامة. فيها دروس عملية لبناء و ترسيخ عقلية المهندس المنتشي برفع التحديات و المتلذذ بتحقيق الإنجازات و بتخطي الصعاب و تدليل الصعوبات و عدم الرضى بوجود ضعف الأداء حيث ما وُجدوا فيبادروا إلى تحسينه.

13. الخاتمة

فإذا ما وجد لا قدر الله، من بين الأساتذة الكرام من انزعج من هذه النصائح ، بتعطيل فكره أو الانتصار لنفسه من باب مجرد التعصب لمركزه، فليستحضر موقفه الشريف ﷺ من **الحباب بن المنذر رضي الله عنه**، ذلك الجندي البسيط، في غزوة بدر، و يتعظ بهديه ﷺ في مثل هذه المواقف، فلا يُحقّرنّ غيره و لو كان من دون مركزه، لأن العبد الفقير لرحمة ربه، صاحب هذه الورقة، له تجربة طويلة في التعليم مع فترة غير قليلة من التأمل في عيوبه من داخله و له بحث أكاديمي أعدّه **بإيعاز بل بإلحاح شديد من أستاذين** بمدرسة تدبير الأعمال التابعة لجامعة لييج ببلجيكا[1] و به مقترحات لإصلاحه. و لا همّ له في هذه الدنيا في سنّه المتقدمة و من بعد حصوله على التقاعد، إلا الإصلاح ما استطاع، و لو بمجرد النصح محتسبا الأجر عند الله. و لا يعتقد أنه يمتلك الحقيقة و إنما يدلي برأيه المتواضع و القابل للنقاش و للإغناء في شأن التعليم العالي بصفة عامة و في شأن مسلك الدراسات الإسلامية بصفة خاصة من باب الغيرة عليه و من باب الغيرة على عزة هذه الأمة التي أراد لها الله أن تكون خير أمة أخرجت للناس حتى لا تبقى في ذيل الأمم.

و ليعلم الأساتذة الكرام حفظهم الله أن الشهادات الجامعية ذات مصداقية هي التي تشهد على تكوين رجال و نساء من النخب التي تفكّر و تبدع و تبتكر و تحل مشاكل بلدها و أمّتها بعقولها و ليس بعقول غيرها. فسيكون لتلك الشهادات قيمة إن شاء الله، يوم توجد على الأقل **شركات مغربية مائة في المائة** تجمع نفاياتنا و تعالجها بالطرق المُرضية، و أخرى تتكلف بالنقل الحضري بنفس الجودة المطلوبة، و أخرى توزع الماء و الكهرباء كذلك بالجودة المنشودة، و حين تتغلب نخبنا على أمراضنا الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و تبتكر حلولا لضعف أداء قطاعات عمومية خطيرة كالتعليم و الصحة و العدل فترضي خدماتها البلاد و العباد.

أما اليوم فمجرد تواجد تلك الشركات الأجنبية في بلادنا للقيام بتلك المهمّات البسيطة و بواسطة عُمّالنا و كوادر من بني جلدتنا، و التي قد نضطر للاستنجاد بمثيلاتها حتى لإصلاح قطاعات التعليم و الصحة و العدل، فهو خير دليل على أن شواهدنا الجامعية لا زالت، مع الأسف الشديد، تفتقد للمصداقية المطلوبة، و لا تشرّف تعليمنا العالي. و الحل بيدكم حصرا أيها الأساتذة الكرام، و لي اليقين بأن الدولة و الشعب بل الأمة كلها لا تنتظر منكم إلا المبادرة لتغيير مسار التعليم العالي في الوجهة الصحيحة التي يرضاها الله و رسوله، و الله المستعان و به و منه التوفيق، آمين. و السلام

أنقر على ما يلي : **تقرير في نفس الموضوع بالأردن من موقع الجزيرة الفضائية**

مع فائق و كامل التقدير و الاحترام
المصطفى حميمو
hmimous@hotmail.com

الصفحة الرئيسية

[1] و في هذه المعلومة عبرة لأساتذتنا حتى لا تذهب جهود الطلبة هباء منثورا فيما لا فائدة و لا طائل منه للبلاد و العباد.